مجلة دراسات فى اللّغة العربية و آدابها، فصلية محكمة، العدد٣، خريف ١٣٨٩/٢٠١٠

منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي

علي زائري وند*

الملخص

يُعدّ أبو الطيب المتنبي من عمالقة الشعر العربي فيوصف بأنه كان نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء، ولكنه كثرت الآراء القائلة بفساد شعره ونقص مذهبه في القرن الرابع، وهذا كان الدافع الرئيسي من وراء تأليف كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" لعلي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني؛ فانصف القاضي الجرجاني الشاعرَ المتنبي من خصومه بعدما توسط الفريقين المتصارعين في محبته ومعاداته فاعطى لكل فريق حقه وكشف تسرعه وأخطاءه وكشف عورات الحاقدين عليه.

فتهدف هذه الدراسة معالجة "منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي" وهو المنهج الذي أصبح من الركائز الرئيسية للنقد الأدبي عند العرب.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه، وبعد؛ فهذا بحث في "منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي" في كتابه الموسوم بـــ: "الوساطة بين المتنبي وخصومه". وحاولت أن أقف على أهم المعالم المنهجية التي دافع بها هذا الناقد عن المتنبي، وهل كان دفاعه على أسس فنّية ورصينة؟ أم كان مدفوعا بالتعصّب والهوى؟ أم أنه اعتمد ميزانا عقليا لافنيا ولاعصبيا؟

فهذا الكتاب يُعدّ من أهم الكتب التي وضعت المتنبي في الميزان ودافعت عنه، ولذلك كان لابدّ لنا أن نسير معه فصلا فصلا وأن نتبيّن كيف استطاع مؤلفه أن يقنع المتلقي بأن المتنبي مظلوم في الهجوم عليه وأن كثيرا ممّن هاجموه كانوا مدفوعين بالهوى والحسد. وأنه لايقلّ مكانة عن كبار الشعراء الذين سبقوه كأبي تمام والبحتري.

---

* طالب الدكتوراه، فى قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية.

تاريخ الوصول: ٨٩/٦/١٢ تاريخ القبول: ٨٩/٩/١٠

ويبدو أن هذا الشعور كان الدافع من وراء تأليفه لهذا الكتاب، ولذلك فقد بناه بما يتوافق مع الهدف الدفاعي، فنجد في كتابه ثلاثة أجزاء رئيسية:

١ - المقدمة وفيها يقرر القاضي الجرجاني موقفه من الأدب ونقده. وفي هذا الجزء جلّ النظريات النقدية التي جاء بها واعتمد عليها.

٢ - دفاعه عن المتنبي.

٣ - نقد تطبيقي و يتناول فيه مآخذ الخصوم على المتنبي.

فمن خلال هذا التقسيم، نجد أن الرجل جلّ همّه أن يخرج من هذه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" منتصرا له ومدافعا عنه ورادّاً للتهم التي أُلصقت به وواضعا له المترلة الأدبية التي يستحقها.

وأما بالنسبة إلى الدراسات السابقة في الموضوع فنرى أن هناك عددا كبيرا من النقاد والأدباء تطرقوا إلى موضوع المتنبي ووساطة القاضي الجرجاني بينه وبين خصومه، ولكن كل منهم عالج القضية من منظاره الشخصي يدخل فيه أحيانا هواه الشخصي؛ ولعل ما يميز هذه الدراسة هو أن الباحث حاول أن يدرس "منهج القاضي في الدفاع عن المتنبي" بعيدا عن الانحياز وذلك لتبيين أسس منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي، المنهج الذي أصبح من الركائز الرئيسية للنقد الأدبي عند العرب فيما بعد.

وقد حاولت أن أعرض في هذا البحث القصير "منهجه في الدفاع عن المتنبي" لأقف على ملامحه العامّة، فإن أحسنت فمن الله، وإن قصّرت فأرجو أن يكون هذا البحث دافعا لي لبحث القضية بشكل تفصيلي في المستقبل. والله الموفِّق.

تحديد الخصوم وألوان الدفاع

يبدأ القاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" دفاعه عن المتنبي بتحديد خصومه ويقسمهم قسمين: أولئك الذين لا يرون فضلاً إلا للمتقدمين جاهليين وأمويين، وهؤلاء إذ يرفضون الشعر الحديث، وبذلك فإنهم يجرحون المتنبي ويهجنون شعره لأنه لاحق المحدثين. ثم أولئك الذين يسلمون بفضل أبي تمام وحزبه ومع ذلك يهاجمون المتنبي، وهؤلاء قوم أفسد الهوى أحكامهم وأتلف الحسد نظراتهم.[١]

١ القاضي الجرجاني *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٣.

فهو يرى أن المتعصبين للقديم يسرفون في ذم المحدثين، ويظلمونهم عندما يرفضون شعرهم جملة، مع أن هؤلاء المحدثين أجدر بأن يترفّق في الحكم عليهم[١].

وقد لحظنا أن القاضي الجرجاني يذكر ما عيب به شعر المتنبي، ويأتي بأمثلة كثيرة من شعره المعيب ويعقب على ذلك بإيراد أمثلة من شعره الجيّد، ويورد من ذلك قدراً كبيراً، ثم يتطرق إلى قضية السرقات في الشعر ويذكر رأيه في السرقات تمهيداً لمعالجة ما نُسب إلى المتنبي من السرقات، وفي قسم كبير من كتابه يقوم الجرجاني بقياس أبي الطيب بالمحدثين من الشعراء.

وبعد ذلك يعود المؤلف لاستكمال بعض المآخذ على أبي الطيب المتنبي، ويلتمس المعاذير له ويأخذ بعدئذٍ دراستها دراسة تفصيلية، يعرض فيها بعض الأبيات التي عيب على المتنبي ويدرسها بيتاً بيتاً، ملتمساً العذر له في كثير مما وقع فيه.

إذن، يبدو أن القاضي الجرجاني جعل دفاعه عن المتنبي ألواناً ثلاثة:

أولاً: وزن الحسنات بالسيئات لنرى أن جانب الحسنات أرجح.

ثانياً: أن أمثاله من عظماء الشعراء المحدثين لهم مثل أغلاطه، فلم ينفرد دونهم بالحساب والمؤاخذة وإغفال أمر الجيّد من شعره.

ثالثاً: التماس الأعذار فيما أخطأ فيه، إن كان له عذر[٢].

وهذه الألوان الثلاث تحتوي على أقسام وفروع كثيرة ونحاول أن نقف عندها ليتسنّى لنا معالجة منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي.

وزن الحسنات بالسيئات

ففي القسم الأول يورد القاضي الجرجاني، السخيف من شعر أبي الطيب وكلّ الأبيات التي يختارها لذلك ليست اختياره هو، وإنما سبقه إليها خصوم الشاعر أمثال الصاحب والحاتمي وغيرهما. يسلم الجرجاني إذن بما في شعر المتنبي من عيوب ولكنه يردف ذلك بالروائع من ديوانه ثمّ يدخل في مجال المقارنة ويورد ما اختاره من جيّد شعر الشاعر بدون تعليق ولا شرح، وإن كان قد لجأ بعض الأحيان إلى المقارنة، وإن لم يفصلها و لم يحكم فيها دائماً.

١ المصدر السابق.

٢ أحمد بدوي *القاضي الجرجاني* ص٧٤.

نرى القاضي الجرجاني في دفاعه عن المتنبي يتخّذ أحياناً منهج الدفاع المتعصّب أو ما يسمّيه الباحث بالدفاع غير المبرّر، أي أنه يمدح شعر أبي الطيب وما جاء فيه من ألفاظ نادرة ومعانٍ مبتكرة. ويعجب الجرجاني من أولئك النقاد الذين ينعون على أبي الطيب المتبني "بيت شذّ وكلمة ندرت وقصيدة لم يسعده فيها طبعه. وينسون محاسنه وقد ملأت الأسماع وشغلت الأفكار وبخاصة تجديده الذي لم يستطع غيره من الشعراء أن يأتي بما يصلح لمصاحبته ومجاورته"[١] وفي هذا المجال يورد قصيدته في وصف الحمى التي مطلعها:

وزائرتي كأن بها حياءٌ فليس تزور إلاّ في الظلام

ويرى أنها من الجديد المبتكر وأن أمثالها بديوان الشاعر كثير، "وأمثال ذلك أن طلبته هداك إلى موضعه. وإذا التمسته دلّك على نفسه"[٢].

قياس الأشباه والنظائر

أما القسم الكبير من دفاع الجرجاني عن المتنبي فيركّز على أشبه ما يكون بالدفاع القضائي ونجد الجرجاني في هذا القسم يدافع عن المتنبي بذكر عيوب الشعراء المحدثين وذلك بالرغم أنه عرض الأبيات بلا تحليل أو مناقشة، ثم يذكر الكثير من الأشعار الرديئة لأبي تمام وأبي نواس وابن الرومي، كأنما يعني بأنه إذا كان هناك شعر رديء للمتنبي، فإن له أشباه أشدّ منه رداءة عند إمام المطبوعين وسيّد الصنعة، أو بالأحرى، إذا كان شعر صاحبه يتردّد بين الحسن والقبح، فإن له نظائر عند الآخرين[٣]. وأطلق "محمد مندور" على هذا النقد "قياس الأشباه والنظائر"[٤].

وعلى سبيل المثال يقيس الجرجاني المتنبي بابن الرومي بقوله:

"وقد نجد كثيراً من أصحابك ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقديمه، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره وهي تناهز المائة أو تربى أو تضعف، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين، ثمّ قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها جارية على رسلها، لا يحصل منها السامع إلا عدد القوافي

١ على بن عبدالعزيز الجرجانى *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٧٧.

٢ المصدر السابق ص٩٢،٩٣.

٣ مصطفى عمر *في النقد الأدبي القديم* ص١٤٦.

٤ محمد مندور *النقد المنهجي عند العرب* ص٢٥٦.

وانتظار الفراغ، وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبيات تختار ومعانٍ تستفاد، وألفاظ تروق وتعذب وإبداع يدلّ على الفطنة والذكاء وتصرف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار"[١].

مع أن الجرجاني ينبّه إلى موقفه الحيادي تجاه المتنبي[٢] إلا أنه في موازناته يقلّل من شأن نظائر المتنبي ويرفع من شأن أبي الطيب كما نرى في موازنته بينه وبين ابن الرومي يزدري شعر ابن الرومي ويبالغ في مدح شعر المتنبي دون ذكر أسباب التفضيل.

إذن، لم يقف الجرجاني عند الشعر الجيد لأبي الطيب يبين أسباب روعته، ونواحي الجمال فيه، ولو أنه فعل، لكان ذلك من أقوى وسائل الدفاع عن المتنبي، وكان المجال واسعاً أمامه للموازنات بينه وبين غيره. وإنه حتى في الموازنات القليلة التي عقدها بينه وبين غيره، لم يقف طويلاً ليبيّن فضل أبي الطيب، ومقدار سموّه في الناحية التي اتجه إليها، ولكنّه كان يلمس ذلك لمسات مسرعة.[٣]

هذا والجرجاني اتخذّ منهج قياس الأشباه والنظائر للدفاع عن المتنبي وهذا ما سمّاه أحد النقاد العرب بـــ"قياس الأخطاء بالأخطاء" أو "قياس العيوب بالعيوب"[٤] وليس من المعقول أن نتمشى مع الجرجاني في منهجه هذا، إذ إنه بهذه القاعدة النقدية يصرّح أن من حق المتنبي أن يُخطئ كما أخطأ قبله من الشعراء المحدثين وهذا ليس مبرراً لشاعر كالمتنبي ليقع في الأخطاء، إذ إنه من الطبيعي أن يتعلم الإنسان من أخطاء السابقين ولا يقع فيها ومن حقنا كبشر أن نتمثل بالحسن ونبتعد عن القبيح.

النقد الموضوعي والمآخذ على المتنبي

إلى هنا لم نجد نقداً حقيقياً أو وساطة عند الجرجاني بل كلّه دفاع عن المتنبي بطريقة سالبة[٥]، فهو لم يناقش مآخذ الخصوم على المتنبي، ولكنه سلم بها وردّ
عليهم بأن كبار الشعراء وقعوا فيما وقع المتنبي من أخطاء.

---

١ انظر: على بن عبدالعزيز الجرجانى *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٥٢.

٢ انظر: المصدر السابق ص٤٤٣.

٣ *القاضي الجرجاني* ص٧٤.

٤ مصطفى عمر *في النقد الأدبي القديم* ص١٥١.

٥ محمود السمرة *القاضي الجرجاني الأديب الناقد* ص١١٣.

وفي الضرب الثالث لدفاع الجرجاني عن المتنبي نجد مؤلف الوساطة ناقداً موضوعياً ومدافعاً عادلاً، ذلك لأن الناقد يتناول فيه ما عيب على أبي الطيب في شعره وما أخذ عليه العلماء من مآخذ، يناقشه ويحلّله ويفصل القول فيه. "وهذاالجزء

الذي نجد فيه النقد الموضعي الدقيق، وربّما كان خير ما في الكتاب"[١].

وأوّل ما يلفت النظر في هذا الباب هو قضية السرقات، لأنها من أكبر المآخذ على المتنبي وأهم الوسائل لتجريحه ولذلك نرى الجرجاني قد خصّص صفحات كثيرة من الوساطة بقضية السرقات، إذ فصل فيها القول تفصيلاً يشمل التطرق إلى مبدأ السرقات وأنواعها وبعض النماذج عند الشعراء القدامى.

يرى الجرجاني أن السرق داء قديم، وأنه لم يخل منه شاعر قديم أو محدث، ويستعرض شواهد للشعر قديمة ومحدثة ونماذج من سرقات الشعراء ويخلص لأبي نواس والبحتري وأبي تمام، ثم يناقش سرقات المتنبي.

وفي تقسيم السرقات سار على ما سبق أن قال به الآمدي في السرقات من حيث:

أولاً: هناك معان مُستدركة مبتذلة لا يصح أن تكون لشاعر دون آخر.

ثانياً: هناك معانٍ اختارها الشعراء السابقون، وأصبحت من حقهم، لأنهم ابتدعوها وهي التي يمكن أن تكون من البديع المخترع.

ثالثاً: هناك معانٍ محورة، مجددة، قد تمت إلى معاني شعراء سابقين أو إلى معان مبتذلة ولكن يكون للشاعر حق تحويرها أو تجديدها[٢].

والسرقة لا تعدّ سرقة إلا إذا أخذ الشاعر المعنى البديع وحده دون تغيير أو تعديل، وجعل الجرجاني للسرقة درجات، أقلّها سرقة الألفاظ، وأقصاها سرقة المعاني، "وقد تدق ولا يتبيّنها سوى الخبير العارف بأسرار الشعر ومواطنه"[٣].

وقد ذكر القاضي بعض المصطلحات التي لها صلة بالسرقات الشعرية مثل توارد الخواطر، والسرق، والغضب والإغارة والاختلاس والإلمام والملاحظة والتناسب واحتذاء المثال والقلب، و... الخ. ولكنّه

١ محمد مندور *النقد المنهجي عند العرب* ص٢٧٧.

٢ محمد زغلول سلام *تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري* **ص**٢٣٤.

٣ على بن عبدالعزيز الجرجانى *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٣٢٥.

يتخذ في دفاعه عن سرقات شاعره نفس المنهج الذي اتبعه في كتابه للدفاع عن المتنبي ونعني به قياس الأشباه والنظائر وبذلك يعترف بسرقة المتنبي بعض المعاني من السابقين الأولين مما يدلّ على عدله في الحكم وانحياده في المنهج أحيانا.

الأخطاء المعنوية واللغوية للمتنبي

وبعد معالجة اتهام المتنبي بسرقة بعض الأفكار والمعاني من السابقين يناقش ما عابه النقاد على المتنبي بغية الدفاع عنه.

ومما عابه النقاد على المتنبي هو التعقيد والغموض، والجرجاني يبدأ بمناقشة هذا الموضوع بإتخاذ منهج الأشباه والنظائر ويرى أن أبا تمام قد بلغ ما لم يبلغه المتنبي ومع هذا لم يسقط ذلك شعره. كما يعتقد "أن من يرى الألفاظ الهائلة والتعقيد المفرد [في شعر المتنبي] فيشك أن وراءها كنزاً من الحكمة وأن في طيها الغنيمة الباردة حتى إذا فتشتها وكشف عن سترها... فما هذا من المعاني يضيع لها حلاوة اللفظ وبهاء الطبع ورونق الاستهلال ويشح عليها حتى يهلهل لأجلها النسج ويفسد النظم"[١].

ومن مآخذ النقاد على المتنبي هو الإفراط، ويرى الجرجاني أنه "مذهب عام في المحدثين وموجود كثير في الأوائل والناس فيه مختلفون... والباب واحد ولكن له درجات ومراتب"[٢] ويرى أن الإفراط قد يؤدي إلى النقص.

ويتخذ منهج المقايسة كعادته، ويورد بعض الأبيات كأمثلة على الإفراط من الشعراء المحدثين من أمثال أبي تمام ولكن "محمد مندور" يعتقد أن ما ذكره الجرجاني كأمثلة على الإفراط من شعر أبي تمام، يعتبر من أجود الشعر وأن الجرجاني مخطئ في تسليمه بعيبها.[٣]

وكذلك الاستعارة تعدّ مما أُخذت على المتنبي، وفكرة الصدق لدى صاحب الوساطة ترتد إلى موافقة العقل والمنطق عليها، وإذا جاءت الاستعارة منافية لفهم العقل ومخالفة لمنطق الأشياء، انتفت فكرة الصدق منها، فعندما يقول المتنبي:

مسرة في قلوب الطيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب

١على بن عبدالعزيز الجرجانى *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٧٥.

٢ المصدر السابق ص٤٢٢.

٣ محمد مندور *النقد المنهجي عند العرب* ص٢٩٧.

يعيب الجرجاني المتنبي الذي جعل للطيب والبيض واليلب والزمان فؤاداً، ويقول: "وهذه استعارة لم تجد على شبه قريب ولا بعيد وإنّما تصح الاستعارة على وجه من المناسبة، وطرف من الشبه والمقاربة"[١] ولكنه سرعان ما يعود إلى منهجه المفضّل ويساوي بين سخف أبي الطيب في هذا البيت وبين قول الكميت "إن الدهر قلب ظهره على بطنه كالتمعّك" وقول أبي رميلة "هم ساعد الدهر"، وحجته في ذلك أن "هؤلاء قد جعلوا الدّهر شخصاً متكامل الأعضاء تام الجوارح؛ فكيف أنكرت على أبي الطيب أن جعل له فؤاداً[٢]!

وموضع الضعف عند الجرجاني في هذه المحاجة هو منهجه الذي يعتمد على المنطق والقياس، وهو يفعل ذلك بالرغم من أنه قد عثر على المقياس الصحيح عندما قال: "إنّ المميز هنا هو قبول النفس ونفورها والنفس لا تقبل ولا تنفر جرياً وراء قياس..."[٣]

وأخيراً يناقش "ما وقع الطعن عليه من جهة الإعراب ولكنه في ناحية الزلل في اللغة، وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة المبنية والتقصير الفاحش، فلا بدّ من تحديده والحكم على كلّ واحد بعينه لاختلاف مأخذ حججه، وتشعّب القول في قبوله أو ردّه"[٤].

ويقسم المعترضين على المتنبي قسمين: القسم الأول هم من اللغويين والنحويين والآخر من أصحاب المعاني بقوله: "فإن المعترضين عليه أحد رجلين، إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر، فهو يتعرض من انتقاد المعاني لما يدل على نقصه، ويكشف عن استحكام جهله"[٥] والقسم الآخر هو "معنوي مدقق لا علم له بالإعراب، ولا اتساع له في اللغة، فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقم الأمر البين"[٦].

ويضرب أمثلة كثيرة لأخطاء المتنبي التي يمكن أن يلتمس له عذر فيها أو يحتمل له وجه في صحتها، ثم يقول: "وأبيات أبي الطيب عندي غير مستكرهة في قسم الجواز، وقد بلغ هذا المحتج منه مبلغاً، غير أن أبا الطيب عندي غير معذور بتركه الأمر القوي الصحيح إلى المشكل الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية، ولا حاجة ماسّة"[٧].

١على بن عبدالعزيز الجرجانى *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٤٢٩.

٢ المصدر السابق ص٤٣٠.

٣ محمد مندور *النقد المنهجي عند العرب* ص٣٠١.

٤ على بن عبدالعزيز الجرجاني *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٤٣٤.

٥ على بن عبدالعزيز الجرجانى *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٤٣٤.

٦ المصدر السابق.

٧ المصدر السابق ص٤٧٢.

إذن، يرى الجرجاني أن كل فريق ممن عاب على المتنبي يهتمّ بالجانب الذي يخصّه دون غيره، فتكون النتيجة أن يقع النحويون واللغويون في وهم المعاني ويقع المعنويون في وهم اللغة.

ولا يخرج دفاع الجرجاني عن أخطاء المتنبي في اللغة عن اتهام اللغويين بالتحيّز، أو بأن أصحاب المعاني لا يتقنون اللغة، أو بأن اللغة لا يمكن حصرها، فما وقع العالم أو جماعة من العلماء ليس كل اللغة، ويضرب الأمثال لعبارات وألفاظ وتراكيب صحيحة رويت في بعض كتب اللغة وليست شائعة، واعتمدها المتنبي.

فالجرجاني وجّه اهتمامه الأكبر إلى سرقات المتنبي، ثم إلى أخطائه في اللغة والمعاني، وأما البديع فكان حظّ أخطائه أقل ولذلك لم يتطرق القاضي إليه كثيراً.

ومهما يكن من أمر، فإن مناقشات الجرجاني تدلّ على سعة علمه وتبحّره في معرفة المعاني التي أوردها الشعراء قدر تمكّنه من اللغة وقواعدها.

الدفاع غير المباشر

وأشرنا في بداية هذه الدراسة أن القاضي الجرجاني جعل دفاعه عن المتنبي ألواناً ثلاثة ولكنّه في طيّات كتابه يدافع عن المتنبي بشكل غير مباشر أي دون تصريح، وكذلك يدافع عن المتنبي بدفاعه عن المحدثين ويرى أن الشعر المحدث أقرب إلى طباع أهل العصر "والنفس تألف ما جانسها وتقبل الأقرب فالأقرب إليها"[١]. ثم يقول إن الشاعر المحدث يُتّهم بالسرقة ولكن الإنصاف يقتضي أن نعذره في ذلك، لأن المعاني قد استغرقها المتقدمون.[٢] ويبدو كأن دفاع الجرجاني عن المحدثين والتعاطف معهم هو في الحقيقة تمهيد لإنصاف أبي الطيب[٣]. فالجرجاني لا يناقش الموضوع لإثبات شاعرية المتنبي وحده، ولا ليقرّر شيئاً يتعلق به خاصة، وإنما "يناقشهم ليدعم الكيان الأدبي للشعراء المحدثين عامة"[٤].

والمنهج الآخر الذي اتخذه الجرجاني للدفاع عن المتنبي بشكل غير مباشر هو وضع الشروط لعمود الشعر، إذ يرى أن عمود الشعر ذو أركان محددة، وهي:

١. شرف المعنى وصحته.

---

١ على بن عبدالعزيز الجرجانى *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٢٩.

٢ المصدر السابق ص٤١٧.

٣ إحسان عباس *تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتّى القرن الثامن الهجري* ص٣٣٣.

٤ عبدالعزيز قلقيلة *النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني* ص٢٧٩.

٢. جزالة اللفظ واستقامته.

٣. إصابة الوصف.

٤. المقاربة في التشبيه.

٥. الغزارة في البديهة.

٦. كثرة الأمثال السائدة والأبيات الشاردة.

فالجرجاني لم يصرّح عن رأيه في صلة المتنبي بعمود الشعر، "غير أنك تلمح من طرف خفيّ أن الشروط التي وضعها تنطبق على المتنبي تماماً، فإذا طالعته بمعنى مستكره أو وصف غير مصيب أو استعارة مفرطة، دعاك إلى أن لا تحكم ببيت على أبيات، وبشاذ مفرد على مستوٍ غالب"[١].

وكذلك يذكر الجرجاني أن "الشاعر الحاذق من يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلّص وبعدهما الخاتمة. لأنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء"[٢].

ويسوق الجرجاني في هذا المقام جملة من مطالع المتنبي التي حازت رضاه واستوفت في نظره شرائط الحسن[٣].

وهكذا يُنهي القاضي الجرجاني دفاعه عن المتنبي.

الخاتمة

وبعد هذا العرض الموجز لمنهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي نخرج بالنتائج التالية:

١. حدّد القاضي الجرجاني خصوم المتنبي وقسمهم إلى قسمين: الذين يرفضون شعر المحدثين برمته والذين يؤمنون بالمحدثين لكنهم يرفضون شعر المتنبي وشاعريته.

٢. جعل الجرجاني دفاعه عن المتنبي ألواناً ثلاثة وهي: وزن الحسنات بالسيئات، قياس المتنبي بغيره من الشعراء، والتماس الأعذار فيما أخطأ فيه أبو الطيب.

٣. لم يكن الجرجاني في دفاعه عن المتنبي محايداً كما يدّعي في كتابه ورأيناه منحازاً في كثير من أحكامه إلى المتنبي، إذ لم يبرّر بعض أحكامه.

---

١ احسان عباس *تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري* ص٣٢٣.

٢ على بن عبدالعزيز الجرجانى *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ص٢٧.

٣ محمد عبدالحمن شعيب *لمتنبي بين ناقديه (في القديم والحديث)* ص١٤٤.

٤. اتخذ صاحب الوساطة منهج "قياس الأشباه والنظائر" للدفاع عن المتنبي منهجاً غالباً في تناول القضايا.

٥. يعرض الجرجاني في دفاعه عن المتنبي أبياته بلا تحليل كما يتناول ما عابه النقاد على المتنبي بغير مناقشة علمية ودون برهان علمي في كثير من الأحيان.

٦. إن منهج قياس الأشباه والنظائر للدفاع عن المتنبي لا يبدو منطقياً، إذ إنه قياس الأخطاء بالأخطاء أو قياس العيوب بالعيوب.

٧. استخدم الجرجاني أسلوب التمهيد والحديث العام عن المواضيع المطروحة بغية إنصاف المتنبي والدفاع عنه بهدف التنظير لإقناع المتلقي/ القاريء والسير به إلى ما يريد.

٨. دافع الجرجاني عن شعر المتنبي دون تصريح أحياناً وذلك بالتّعاطف مع المحدثين.

٩. وضع القاضي بعض الشروط لعمود الشعر وللشاعر الجيد وجعلها تنطبق على شعر المتنبي وشاعريته ليدافع عنه دون أن يصرّح بذلك.

١٠. اكتفى القاضي الجرجاني بالدفاع المنطقي عن أبي الطيب ولكنه لم يوفق دائماً في نظراته وهو أميل إلى المنطق والقياس منه إلى تحكيم الذوق والحسن الفني.

١١. إن منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي مع كل ما يؤخذ عليه، يعدّ رائدا للمناهج النقدية في الأدب العربي، إذ فتح آفاقاً واسعة أمام النقاد المتأخرين.

المصادر والمراجع

١- عباس إحسان *تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتّى القرن الثامن الهجري* ط٢ بيروت: دار الثقافة د.ت.

٢- زغلول سلاّم محمّد *تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري* القاهرة: دار المعارف ١٩٦٤م.

٣- عمر مصطفى *في النقدالأدبي القديم* ط٣ القاهرة دارالمعارف١٩٩٢م.

٤- السمرة محمود *القاضي الجرجاني الأديب الناقد* بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر د.ت.

٥- بدوي أحمد *القاضي الجرجاني* ط١القاهرة: دار المعارف ١٩٦٤م.

٦- عبد الرحمن شعيب محمد *المتنبي بين ناقديه (في القديم والحديث)* ط١ القاهرة: دار المعارف القاهرة ١٩٦٤م.

٧- قلقيلة عبد العزيز *النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني* ط٢ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م.

٨- مندور محمد *النقد المنهجي عندالعرب* ط١ القاهرة:مطبعة الفكرة ١٩٤٨م.

٩- الجرجاني علي بن عبد العزيز (القاضي) *الوساطة بين المتنبي وخصومه* القاهرة: دار إحياء الكتب العربية د.ت.